وكانت وفاتُه في شعبان، ودُفِنَ بمقبرة باب حرب، وكان صدوقاً، ثبتاً، صالحاً، فاضلاً، حسنَ الاعتقاد. قال أبو الفتح ابن أبي الفوارس(١): لو رحلَ رجلٌ من خراسان ليسمع كلمةً من أبي الحسن ابن الحمّامي ما كانت رحلتُه ضائعةً]

[وفيها تُوفِّي]

مُحَسِّن بن عبد الله بن محمد(٢)

أبو القاسم، التَّنوخي، المعرِّي، القاضي، الحنفي، [ذكره الحافظ ابن عساكر وقال]: وُلِدَ يومَ الأحد لثمانٍ وعشرين خلَتْ من ربيع الأول سنة تسع وأربعين وثلاث مئة، وقدم دمشق مجتازاً إلى الحجِّ، فأدركهُ أجلُه في الطريق في ذي القعدة، فحُمِلَ إلى مدينة النبي ﷺ، فدُفِنَ بالبقيع، وله مصنَّفات، وكان شاعراً، من شعره: [من الطويل]

وكلٌّ أُداريهِ على حَسْبِ حالهِ سوى حاسدي فَهْيَ التي لا أنالُها
وكيفَ يُداري المرءُ حاسِدَ نعمةٍ إذا كان لا يُرضيهِ إلّا زوالُها

السنة الثامنة عشرة وأربع مئة

وفيها خُطِبَ ببغداد لجلالِ الدولة على المنابر بالسلطنة، بعد أن مَنَعَ الأتراكُ من ذلك وخطبوا لأبي كاليجار، وسببُه أنَّ الأتراك اجتمعوا على باب الخليفة وراسلوه، وقالوا: أنتَ مولانا، ومالكُ أمورِنا، وما لنا سِواكَ، وقد كُنَّا عند وفاة مُشرِّف الدولة اخترنا جلالَ الدولة؛ ظنًّا منَّا أنه ينظرُ في حالنا، فلم ينظُرْ، فاخترنا أبا كاليجار؛ ظنًّا منَّا أنه يُحقِّق ما يَعِدُنا به، فكُنَّا منه على أقبح من الأول، فخرج جوابُ الخليفة: إنكم موالينا، وأبناءُ دولتنا، وأولُ ما نأمركم به أن تكون كلمتُكم واحدةً، وكنَّا قد قرَّرْنا الأمرَ لجلال الدولة، وطلبتُم نقْضَه، وساعدناكم عليه، وفيه قُبْح علينا وعليكم، ثم عقدتُم لأبي كاليجار عقداً لا يَحْسُنُ نسخُه من غير رَويَّة، ولبني بُوَيه في أعناقنا ذِمَمٌ وعهودٌ لا يجوز الرجوعُ عنها، والمصلحةُ أن نكاتبَ أبا كاليجار في ذلك ونستعلِمَ

---

(١) تحرف في (ف) إلى: ابن أبي الشوراب.

(٢) تاريخ دمشق ٥٧/ ٩١ ـ ٩٢.

جوابَه. فقالوا: سمعاً وطاعةً. فكتب الخليفةُ إليه: إنَّكَ قد أهملتَ الأمورَ، ووقع الخلَلُ، وإن لم تتداركِ الأمرَ وإلا خرج عن يدِكَ. فلم يَرِدْ جوابٌ مَرْضيٌّ، فآلَ الأمرُ إلى أنَّ الأتراكَ [قد] سألوا الخليفةَ أن يخطب لجلال الدولة [وهذا من العجائب]، فلمَّا كان يومُ الخميس رابع عشر جمادى الأولى نُودِيَ ببغداد بشعار جلال الدولة، وضُربَتِ الدبادِبُ والبوقات [ببغداد] على باب دار المملكة، وخُطِبَ له على المنابر، وفعل الأتراك الذين كانوا بواسط كذلك، وبعث التُّركُ الذين كانوا ببغداد رسلاً إلى جلال الدولة بذلك، وأنهم على طاعته، ولمَّا وصلت كتُبُهم إليه سار من البصرة إلى واسط، فنزل دارَ الإمارة سلخ جمادى الأولى وحلف الإسْفهسلارُ والأتراكُ على الحِفظِ والحراسةِ والعفوِ عمَّا مضى، وتركِ المؤاخذة بمحضرٍ من رسلهم، وبعث إليهم بنسخة اليمين، وعادوا إلى بغداد، وكان في الرسل منصور بن طاس[١] حاجب الخليفة وأبو صالح الموقر قاضي الأتراك، وأدَّوا الرسالة، وأشار أبو الوفاء نائب المملكة بانحدار الأقوياء منهم إلى واسط، ويبقى الذين ليس لهم خَيْلٌ وتحمُّلٌ ببغداد، وكتبوا إلى جلال الدولة بذلك، فكتب مُنكِراً على أبي الوفاء ويقول: كيف يجوز أن أستدعيَ عسكري لبَيْكارٍ[٢] قبل الاجتماعِ معهم والنظرِ في أمورهم وإعانتِهم على سفرهم بالنفقاتِ، وطلب أيمانهم[٣]، فاجتمعوا في دار المملكة، وجدَّدوا الأيمان.

و[كان مسيرُه إليها من البصرة] وفي يوم الأحد لثمانٍ بَقِينَ من رجب اقترن زُحل ومريخ اقتراناً عجيباً بحيث ركب أحدُهما الآخرَ بمرأى العين.

وتُوفِّي أبو القاسم ابن [الخليفة] القادر بالله[٤].

وفيها وردَ كتاب محمود بن سُبُكْتِكين إلى الخليفة يذكر ما فتحه من بلاد الهند وكَسْرِه الصَّنمَ المعروفَ بسومنات [عنوان الكتاب مثل ما تقدَّم في كتبه ويُسلِّم على الخليفة

(١) في المنتظم ١٥/ ١٨٣: رطاس، والخبر فيه بنحوه.
(٢) البَيْكار: الحرب. المعجم الذهبي ص ١٧٥.
(٣) في (ف): أموالهم.
(٤) ستَرد هذه الترجمة قريباً في وفيات هذه السنة.

على جاري العادة ويدعو له، فقال: أمَّا بعد، فأطال الله بقاء سيِّدنا ومولانا الإمام، وأدام له العِزَّ والتأييد، والعلوَّ والتمهيد، والبسطةَ والسُّموَّ والغبطة، وأمضى شرقاً وغرباً أحكامَه، ونصر براً وبحراً أعلامَه، ولا أخلى من الدولة مكانَه، ومن النضارة زمانَه، ثم ذكر آدم والأنبياء صلى الله عليهم وسلم بألفاظ طويلة، منها: والحمد لله الذي خلق صفة آدم عليه السلام لاتِّحاد البريَّة، وأجراه في أحواله على سابق المشيَّة، وشرَّفه بسجود ملائكته الكرام، فخصُّوه بالتحية والإعظام، وابتلاه بمواقعة خطيئته، ثم تاب عليه عقيب إنابته، ورحِمَه عقيب استغفاره، وجعل الدنيا دار قراره، ثم صلَّى على النبي ﷺ]. ومن جُمْلَتِه: أصدر العبدُ كتابَه من مستقرِّه ببلْخٍ لخمسٍ بَقِين من المُحرَّم [من هذه السنة]، وقد تناهى إلى الموقف[1] الأشرف ما يسَّره اللهُ من الفتوح التي زهَتْ على سائر الأنام، وانتهت راياتُها إلى بقاعٍ من[2] بلاد الكفار ما كانت تخطر على الأوهام، وكُسِرتْ أصنامُها التي كانت تُعبد من دون الله؛ اغتراراً بطول زمانها، وانقراضِ القرونِ بعدَ القرونِ على تعظيم شانها، حتى فقدَ الكفارُ كلَّ صنمٍ منحوتٍ من الحجر والخشب، ومصوغٍ من الفضة والذهب، وأيقنوا ببُطلان اعتقاداتهم في معبودهم، وتحيَّروا في أمرِ دينهم الذي ورثوه عن آبائهم وجدودهم، وكان لهم صنمٌ عظيمٌ يقال [له]: سومنات، وهو أعظمُ أصنامهم، وجاهروا بأنَّه يُحيي ويُميت، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وأنَّه إذا شاء أبرأ من جميع العلل، حتى من البرص والعمى والشَّلل، وربما كان يتَّفق لسُفائِهم إبراءُ عليلٍ يقصِدُه، فيزدادون به افتتاناً، ويأتونه من أقصى البلاد رجالاً ورُكباناً، ويزعمون أنَّ الأرواح إذا فارقتِ الأجسامَ اجتمعت لديه على مذهب التناسخ، فينشِّئها فيمن شاء قبل الولادة، ويُجريها بعد دخولها في الوجود على ما يختاره لها من أسباب الشقاء والسعادة، وأنَّ ظهورَ مَدِّ البحر المتَّصل به وجَزْره عبادةٌ له على قَدْر طاقتِه ووُسْعِه، فكانوا بحكم هذا الاعتقاد يحجُّونه من كل صَقْعٍ [بعيد]، ويأتونه من كلِّ فَجٍّ عميق، ويُتحِفونه بكلِّ مالٍ جزيل، ويتصدَّقون على سَدَنتِه بكلِّ مُدَّخرٍ جليل، ولم يَبْقَ في بلاد الهند والسِّند ـ على تباعُدِ أقطارِها، وتبايُنِ

(١) في (م) و (م١): المقام.
(٢) في (م) و (م١): إلى أقصى.

أمصارها ـ مَلِكٌ ولا سوقةٌ إلَّا وقد تقرَّب إلى هذا الصنم بما عزَّ[1] عليه من أموالِه وذخائِره وحُليِّه وجواهرِه، حتى بلغت أوقافُه عشرةَ آلاف قرية من مشهورات القُرى في تلك البقاع، وامتلأت خزائِنُه من أصناف الأموال والمتاع، ولأهل الهند نهرٌ كبير [يُعرف بكَنك] يُعظِّمونه غاية التعظيم، ويُلقون فيه عظامَ كُبرائهم [على تقدير أنها تُساق إلى جنَّات النَّعيم]، وبينهم وبين سومنات الصنم المذكور مسافةُ مئتي فرسخ على التحقيق، وكانوا يغسلون وجهَ هذا الصنم كلَّ يوم بماء هذا النهر إكراماً يخصُّ به على طول الدهر[2]، فرتبوا في كلِّ مرحلةٍ قاصدين يتعاقبون البِدار بهذا الماء في بُكرة كلِّ يوم إلى الصنم [المذكور]، وقد وقفوا الأوقافَ على هذا البريد [المأمور]، فكانوا كلَّ يوم يغسلون وجَه[هذا] الصنم بالماءِ الجديد، المشوبِ بالعسل واللبن الحليب، ورتبوا حولَه ألفَ رجل من البراهمة لخدمتِه، وتقديم الوفودِ إلى عبادتِه، وأقاموا ثلاثَ مئةِ رجلٍ يحلقون رؤوسَ حجيجه ولِحاهم عند الوفود، وثلاثَ مئة رجلٍ يُغنُّون ويرقصون على باب بيت الصنم [المعبود][3]، وثلاثَ مئة جارية برسم زوَّاره، وقيل: خمس مئة. وكان العبد يتمنَّى طولَ عمره قلْعَ هذا الوثن الفتَّان، ويطلب فيه فُرصة الإمكان، ويسأل الصادرَ والواردَ، ويستقصي عن ممالِكها، ويخبر عن مفاوزِها، وصعوبةِ مسالِكها، واستيلاءِ الرمل السيَّال على طرقِها، ما يُحيِّر المسامع، ويُبلِّد العزائم، فاستخار العبدُ اللهَ تعالى في الانتداب لهذا الواجب، ومَثَلَ في وَهَمه أضعافُ المسموعِ من المتاعب، فنهض من غرَّته صبيحةَ يوم الأربعاء لثمانِ ليالٍ بَقِين من شعبان سنة ست عشرة وأربع مئة، فسلَكَ سَمْتَ المُلْتَان، فانتهى إليها في نصف [شعبان أو][4] رمضان، وسأل عن سلوك المفازات، فأُخبِرَ بصعوبتها من جميع الجهات، فاختار من جماهير الأولياء الذين هذَّبَتْهم الحروب، وثقَّفتْهُم الخطوب، ثلاثينَ ألف فارس، بعد أن رتب في كلِّ ثغرٍ وأطرافِ كلِّ بلدٍ من العساكر جمعاً لدفع من غشاه، يتطلب فرصةً في امتداد هذه الغيبة، وفرَّق في المُطَّوِّعة خمسين ألف دينار، بعد أن أخبرهم بصعوبة المفازات،

(١) في (م) و (م١): بما يقدر.

(٢) في (م) و (م١): إكراماً بحضرته على توالي الدهر.

(٣) في (م) و (م١): الورود.

(٤) ما بين حاصرتين من (ف) وحدها.

فاختاروا الجهاد في سبيل الله، وسار من المُلتَان يقصد الصنم [المعبود]، وجهادَ أهلِ الشرك، وذلك يوم الجمعة الثاني من شوال، فاخترق المفاوزَ الموصوفة، فوجدها أعظمَ ممَّا وُصِفَتْ به من صعوبة المسالك المتلفة للسالك، وسارت المواكب والنفوس راضيةٌ بدرك الشهادة، والقلوب خاليةٌ من الأوطار المعتادة، وكان بين يديه قلاعٌ كثيرة، فيسَّر اللهُ افتتاحَها بعد قَتْلِ سُكَّانِها، وقَلْعِ أوثانِها، وعَرَضَ في بعض الغَدَواتِ ضَبابٌ سدَّ الآفاق، ومَنَعَ ضوءَ الشمس من الإشراق، فزعمت طائفةٌ من الهنود أن هجوم هذا الظلام من مكايد [هذا] الوثن المقصود.

وذكر في الكتاب أنه فتح بلاداً[١] كثيرةً، وقطع مفازاتٍ عظيمةً، وقتل خلقاً من الأمم والملوك، وذكر قلعة سومنات، وأنها قلعة عظيمة قد بُنِيَتْ على جانب البحر المحيط، وبحيث يبلغها إمدادُه إذا جزَرَت[٢]، [ويضرب أمواجُه حيطانَها إذا اضطربت]، وصَعِد أهلُها على أسوارها بأكمل عدة، وأيقنوا من معبودهم بالنَّصر والتأييد، والظَّفر والتسديد[٣] في قتالهم، فلمَّا عاينَ أحزابُ الشياطين من قتال المسلمين شأناً، وشاهدوا من معبودهم خذلاناً، خابَتْ آمالُهم، وتغيَّرتْ أحوالُهم، ووافق الوقتَ الذي نطقت[٤] فيه ألسنُ الخطباء بالدعاء لجيوش الإسلام بالنصر [في أقطار الشرق والغرب والحضرة]، فزلَّت حينئذٍ أقدامُهم، ونُكِّسَتْ أعلامُهم، وخلَتِ البروج من أبطالهم، فنصب المسلمون عليها السلالمَ، وما كان إلا قليلٌ، حتى دُرِسَتْ منها المعالم، والتجؤوا إلى وثنهم يقبِّلونه تقبيلاً، فأُخذوا عليه وقُتِّلوا تقتيلاً، وحين خَلَتِ القلعةُ من سُكَّانها [وصفَتْ عن اتِّباع شيطانها]، صُرِفتِ الأبصارُ إلى مشاهدة الصنم [المذكور]، وكان بيتُه في صدر القلعة على جانب البحر المحيط، وأساس البيت من الصخور العِظام، وارتفاعُه على ستٍّ وخمسين سارية، وعلى شرافاته رُمَّان الذهب يلوح من بعيد كالشموس [ويحلُّ محلَّ لمعانها من القلوب والنفوس]، وحولَه

(١) في (م): مدائن.

(٢) في (خ) و (ف): زجرتُ، والمثبت من (م) و (م١).

(٣) المثبت من (م) و (م١): ، وفي (خ): وأيقن بالنصر محمد العبد.

(٤) في (م) و(م١): دعت.

أصنامُ الذهب والفضة، وكلُّ صنمٍ قد بولِغَ في نقْشِه، ووُضِعَ الأصنامُ حولَه بمنزلة الملائكة حولَ عَرْشِه، وعلى بابه ستورٌ مُرخاةٌ، ومواقفُ الحُجَّاب مُهيَّأةٌ، وكان يجتمع إليه أيامَ الكسوف نحوٌ من مئة ألف إنسان، [ويحجُّون من كلِّ مكان]، وبين يديه جرسٌ معلَّقٌ من ذهب، في سلسلةٍ وزنُها مئتان وسبعون منا[١]، يُحرِّكونه في أوقات الصلوات [وساعات العبادات، وكان] إلى جانب الصنم خزانةٌ فيها من الأصنام الذهبية والفضِّية والمَناطق والقلائد وغيرِها ما بلغت قيمتُه عشرين ألف ألف درهم، غير الذهب[٢]، ثم أَمر العبدُ بكسر الصنم وقَلْعِه، فأُزيلَ في ساعةٍ[٣] عن قراره، [واستولى المحوُ على آثاره]، وأُوقِدَتْ عليه النارُ حتى صار جُذاذاً، وتقطَّع أفلاذاً، ولعبتِ النارُ في القلعة وجدرانِها، واشتمل القتلُ على خمسين ألف قتيل من سُكَّانها، [وهو كتاب طويل حاصله ما ذكرناه].

وفيها في رمضان دخل جلالُ الدولة بغداد، وخرج القادر لتلقِّيه على العادة، وصَعِد إلى طيار الخليفة، وقبَّل الأرض، ثم نزل في زَبْزَبه إلى دار المملكة، وضُربَ الطبلُ على بابه في أوقات الصلوات، فراسله الخليفةُ، وقال: هذا فيه مماثلةُ الخلافة. فاقتصر على الثلاث، وقيل: إنه دام على الخمس مدة أيام، وقال[٤]: لي أسوةٌ بعضد الدولة والصَّمْصام وبَهاء الدولة وغيرهم، فأجابه الخليفة لمَّا أصرَّ.

وفي شوال قُبِضَ على شمس الملك أبي الحسين بن علمكار، وكان في داره نخلةٌ غضَّةٌ صحيحة، والدار بدرب النخلة ببغداد، فلمَّا قُبِضَ عليه بالحِلَّة يبست النخلة في ذلك اليوم ببغداد.

وفيها توجَّه أبو كاليجار من شيراز إلى الأهواز، فدخلها في رمضان، واستخلف على فارس بَهرام بن مافنة، وسببه أنَّ أبا كاليجار كان قد صالح أبا الفوارس واتَّفقا،

---

(١) المنا المصري ما يقارب ٤١٣ غ، والمنا الرومي ما يقارب ٥٤٢غ، والمنا الطبي ما يقارب ٦١٩غ . ينظر معجم متن اللغة ١/ ٨٦.

(٢) في (م) و (م١) وقع بدلاً من قوله: "غير الذهب" ما نصُّه: سوى ما أُخِذ من أنقاض البلاد، ولم يبق لها أثر إلا موضع مسنَّاتها.

(٣) بعدها في (م) وحدها زيادة: واحدة.

(٤) في (ف): وكان.

وعَلِم بخروج العراق عن يده، وأنَّ وزيره أبا محمد ابن بابشاذ أتسز خاطب أبا منصور بَهرام في النيابة عنه بفارس، فامتنع واعتذر، فراجعه مراراً، فأجاب على شروطٍ أنَّه لا يُلَقَّب لقباً، ولا يلبَس خِلْعةً، وأن يُدبِّر الأمورَ على ما يقتضيه رأيُه، من غير توقُّفٍ على إذنٍ ينتظره، إذْ كان بُعْدُ المسافة لا يحتمل تأخير ما يوجب الصلاحُ إنجازَه، وأن تُجعلَ الأعمالُ كلُّها إليه من غير مشاركة ولا مشارفة، فأجابه إلى جميع ذلك، وسار يوم السبت تاسع عشر شعبان، ولمَّا فصل عن فارس رتبَ أبو منصور الأمورَ الترتيبَ الحسن، ورفعَ المصادراتِ، وأفاض العدلَ، وأمَّنَ الناسَ كافَّةً، وأسقطَ التأويلات، حتى سُمِّي الأجلَّ العادلَ، واستناب الوزيرَ أبا علي بن بُندار في ذلك، وكان الأكرادُ قد أفسدوا البلاد، فجمع العسكر وخرج إليهم، فلمَّا بلغَهَم سيرتُه أطاعوه، وجاؤوا إلى خدمته، فزال الفساد، وارتفع شَنُّ الغارات على الأطراف، وأمِنَتِ السُّبلُ، وأحسن إليهم، وأقطعهم الإقطاعات، ولزموا خدمته، ومما فعل أنه كان بفارس معايشُ ورواتبُ وتَشريفاتُ الأكابر من الكُتَّاب وذوي الحرُمات والبيوتات ما هو مُجرًى على طول الزمان، ما مقداره ألف ألف درهم في كل سنة، فلمَّا ضاق المالُ على السلطان قطعَ هذه الرسوم، وأحالَ على أربابها بما عسفوا فيه أشدَّ العسف، فأعادَ أبو منصور الرسومَ إلى أربابها، وأزالَ عنهم العَسْفَ والظُّلمَ، فأحبَّه الناس.

وفي ذي القَعدة شغب الجند ببغداد على جلال الدولة، وقالوا: كم مواعيد؟ وخرجوا إلى ظاهر البلد، وسُئلوا[1] فلم يلتفتوا، فقبضَ جلالُ الدولة على جماعةٍ من الأعيان، وصادرهم، وأرضى به الترك.

وفيها نُقِضتْ دارُ مُعِزِّ الدولة بباب الشَّماسية، وكان غرم عليها اثني عشر ألف ألف درهم، سوى ما أخذ من أنقاض البلاد [ولم يبقَ لها أثر إلا مسناتها، وقد ذكرنا هذا فيما تقدم].

ولم يحُجَّ أحدٌ من خراسان ولا من العراق.

---

(١) في (ف): وروسلوا.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن محمد

ابن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي، أبو عبد الله المعدَّل، الخطيب، [سمع أبا عمر الزاهد، وكتب عنه الخطيب[١]]: كان زاهداً ورعاً عفيفاً صالحاً، أقام خطيباً بجامع المنصور ثلاثاً وثلاثين سنة، [من سنة ستٍّ وثمانين إلى هذه السنة] يخطب بخطبةٍ واحدةٍ [لم يُغيِّرها]، وإذا سمع الناس ضجُّوا وبكوا، [وقامت عليهم القيامة، ومات في هذه السنة]، ودُفِنَ بباب حرب[٢].

الحسين بن علي[٣]

ابن الحسين، أبو القاسم، الوزير، المغربي.

ولد بمصر في ذي الحِجَّة سنة سبعين وثلاث مئة، وهرب منها لمَّا قتل الحاكمُ أباه عليًّا وعمَّه محمداً. وقيل: [إنَّ] [٤] أباه وَزَرَ للعزيز بمصر، وللحاكم بعده مُدَّة قَبْضِه وحَبْسِه، فهرب إلى العراق، وخدمَ بني بُوَيه مُشرِّف الدولة وغيرَه، وولَّى الحاكمُ ولدَه أبا القاسم، ثم قبَضَ عليه وسَجَنه في خزانة البنود، فهرب منها، ويقال: إنه ما هرب منها سواه، وقصد العراق، وأقام عند أبيه مدةً، ومات أبوه بالعراق، فأصعد إلى الموصل، فخدم قِرْواشاً مدةً، ثم قبضه، وقبض معه سليمان بن فهد، ثم أطلقه، فخرج إلى ديار بكر، وقصد نصر[٥] الدولة بن مروان، فأقامَ عنده، وطلبه قِرواشٌ فمنعه، وقال: واللهِ لا سلَّمتُه إليكَ بعد أن استجارَ بي.

ومات وزير نصر الدولة أبو القاسم خواجا صاحب أرْزَن سنة ستَّ عشرة وأربع مئة في رمضان، فاستوزَرَ صاحبَ هذه الترجمة، ورُدَّتِ الأمورُ إليه، وفي «تاريخ

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٤٩، وينظر المنتظم ١٩/ ١٨٤ ـ ١٨٥.
(٢) الذي في تاريخ بغداد أنه دفن في داره بالنصرية من باب الشام.
(٣) تاريخ دمشق ٥/ ٩ ـ ١١ (نشر دار البشير)، والمنتظم ١٥/ ١٨٥ ـ ١٨٧.
(٤) ما بين حاصرتين من (ف).
(٥) في (ف) هنا وفي الموضع الآتي: نصير، وكلاهما صحيح.

مَيَّافارقين» أنَّ الحسين بن علي خرج من الموصل ومعه سليمان بن فهد، وأنَّ قِرواشاً لم يقتُلْه، وأنَّ سليمان أقام عند ابن مروان في ضيافته حتى أصلح حالَهُ مع قِرْواش، وعاد إليه. وقيل: إن الحسين قَدِمَ بغداد و وَزَرَ لمشرِّف الدولة، ثم عاد إلى ميَّافارقين، فأقام عند مروان [حتى مات] [١] عنده، وكان [الحسين] عاقلاً فاضلاً، شهماً شجاعاً، شاعراً، كافياً في فنِّه، حتى قيل: إنَّه لم يَلِ الوزارةَ لخليفة ولا لملك أكفى منه، ولا أحسنَ سياسةً، وكان إذا دخل عليه الفقيهُ سأله عن النَّحو، والنحويُّ سأله عن الفرائض، والشاعرُ سأله عن القراءات تبكيتاً لهم، فدخل عليه شيخٌ صالحٌ، فسأله عن العلم، فقال: ما أدري، ولكني رجلٌ يُودِعني الغريبُ الذي لا أعرفهُ الأموالَ العظيمةَ، ويعودُ بعد سنين وهي بختومها [قال]: فأخجله لذلك.

وزار رجلاً من المنقطعين إلى الله، فقال له: أيها الشيخ، لو صحِبْتَنا لاستَفَدْنا منكَ، واستَفدْتَ مِنَّا. فقال: رَدَّني عن هذا بيتُ [من] شعر، وهو قول القائل: [من الطويل]

إذا شِئْتَ أن تَحيا غنيًّا فلا تكُنْ ... بمنزلةٍ إلَّا رضيتَ بدونِها

فقال له: يا شيخ، ما هذا بيتُ شعر، ذا بيتُ مال. ثم قال: اللهمَّ أغْنِنا كما أغنيتَ هذا الشيخ. واعتزل السلطانَ، وانقطع إلى العبادة، فقيل له: [لو] تركتَ المناصب في عنفوان شبابِكَ. فقال: [من الخفيف]

كنتُ في سفرةِ البطالةِ والغـ ... ـيِّ زماناً فحانَ مني قدومُ

تُبْتُ عن كلِّ مأثمٍ فعسى يُمْـ ... ـحى بهذا الحديثِ ذاكَ القديمُ

بعد خمسٍ وأربعينَ لَقدْ ما ... طَلْتُ إلَّا أنَّ الغريمَ كريمُ

[وله الأشعار المستحسنة، وذكر الخطيب[٢] وابن عساكر طرفاً منها، وأنبأنا غير واحدٍ عن أبي القاسم السمرقندي قال: أنشدني أبو محمد التميمي للوزير أبي القاسم ابن المعزى هذه الأبيات] فقال: [من المجتث]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ف).

(٢) لم أقف على ترجمة له عند الخطيب في تاريخ بغداد.

الـدَّهْـرُ سـهـلٌ وصـعـبُ ... والـعـيـشُ مُـرٌّ وعَـذْبُ
فـاكـسِـبْ بـمـالِـكَ حَـمْـداً ... فـلـيـسَ كـالـحـمـدِ كَـسْـبُ
ومـا يـدومُ سـرورٌ ... فـاغْـتَـنِـمْ وطـيـنُـكَ رَطْـبُ

وقال: [من الطويل]

وما ظبيةٌ أدماءُ تحنو على طَلى[1] ... ترى الإنسَ وحشاً وهي تأنسُ بالوحشِ
غدَتْ فارْتَعَتْ ثمَّ انثنَتْ لرضاعِهِ ... فلم تُلْفِ شيئاً من قوائمه الحُمشِ
فطافَتْ بذاك القاعِ وَلْهى فصادَفَتْ ... سباعَ الفَلا يَنْهَشْنَهُ أيَّما نَهْشِ
بأوجَعَ منِّي يومَ ظَلَّتْ أناملٌ ... تُودِّعني بالدُّرِّ من شبَكِ النقشِ
وأجمالُهم تحدى وقد خَيَّلَ الهوى ... كأنَّ مطاياهُمْ على ناظري تمشي
وأعجَبُ ما في الأمرِ أنْ عِشْتُ بعدَهُمْ ... على أنَّهم ما خَلَّفوا فيَّ مِنْ بَطْشِ

وقال أيضاً: [من الطويل]

أيا وطني إنْ فاتَني بِكَ فائِتٌ ... من الدَّهرِ فلْتَنْعَمْ بساكنِكَ الحالُ
وإن أستطِعْ في الحشر أنَّكَ زائري ... وهيهاتَ لي يومَ القيامةِ أشغالُ

وقال: [من مجزوء الكامل]

إنـي أُبـثُّـكَ عـن حَـديـ ... ـثي والـحـديـثُ لـهُ شـجـونْ
غـيَّـرْتُ مـوضـعَ مـرقـدي ... لـيـلاً فـنـافـرنـي الـسُّـكـونْ
قُـلْ لـي فـأوَّلُ لـيـلـةٍ ... فـي الـقـبـرِ كـيـف تُـرى تـكـونْ

ذكر وفاته:

[ذكر جدي رحمه الله في «المنتظم» قال]: لمَّا أحسَّ بالموت كتب كتاباً إلى كلِّ مَنْ يصل إليه من الأمراء والرؤساء الذين بين ديار بكر والكوفة أن حَظيَّةً للوزير توفِّيت، وأنَّ تابوتها يجتاز بهم إلى مشهد أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه، وخاطبهم في المراعاة لمن يصحبه [ويَخْفِرُهُ][2]، وكان قصدُه أن لا يتعرَّض أحدٌ لتابوته، وأن ينطوي خبرُه، فتَمَّ [له] ذلك، ومات بميَّافارقين عن ستٍّ وأربعين سنة، وحُمِلَ إلى مشهد علي عليه السلام فدُفِنَ هناك.

(١) الطَّلى: ولد الظبية ونحوه. المعجم الوسيط (طلا).

obeikandl.com

وفي «تاريخ ميَّافارقين» أنه كتب كتاباً إلى النقيب بالكوفة ليدفنه في عتبة باب المشهد، وقال للنقيب في الكتاب: وقد أوصيتُ أن يُجعلَ في التابوت ألف دينار في كيس، فإذا وصل إليك التابوتُ فافتَحْه، فهي العلامة، وأوصى إلى أبي طاهر محمد بن عبد الرحيم ابن نُباتة صاحب الخُطَب وعرَّفه بما يجعل في التابوت، ومات، فغسَّله الخطيبُ، وجعل المالَ في التابوت، فلما وصل [إلى] الكوفة قال النقيب: من هذا؟ قيل: الوزير المغربي. [فأنكر ذلك و] قال: [أنا] لي فيه علامةٌ: ففتح التابوتَ فوجدَ الكيس، فأخذه ودفنه تحت العتبة، وكتب عند رأسه: يا جامع الناس لميقات يومٍ معلوم، اجعَلِ الحسين بن علي من الفائزين.

ورأيت في «تاريخ ميَّافارقين» عن أبي الحوار الواسطي قال: أوصى الوزير أن يُحمَلَ إلى مشهد الحسين بن علي عليه السلام، ويُدفَنَ تحت رجلَي الحسين عليه السلام، وأن يُكتَبَ عند رأسه بيتين وهُما له فقال: [من مجزوء الرجز]

سقى الإلهُ الأزلي ... من السحابِ الهُطَّلِ
قبرَ الحسينِ بنِ علي ... عندَ الحسينِ بنِ علي

ففعلوا به ذلك. [قلت: وهذه الرواية أحسن] وقيل: إنه مات [في] سنة ثمان وعشرين وأربع مئة. وقال ابن عساكر: كان مع أبيه بمصر، فلمَّا قَتلَ الحاكمُ أباه وعمَّه بمصر هرب، فاستجار بحسان بن المُفرِّج بن دَغْفَل بن الجرَّاح الطائي، ومدحه، فأجازه، وأقام عنده مُكرَّماً، ثم رحل عنه، وتوجَّه إلى العراق، واجتاز بالبلقاء، ووَزَرَ لِقِرْواشٍ أميرِ بني عقيل، ولابنِ مروانَ صاحبِ ديار بكر. وكان أديباً، شاعراً، فاضلاً، مترسِّلاً، ذا معرفةٍ بصناعة الكتابة والإنشاء والحساب، ومن شعره: [من الكامل]

من بعْدِ وصلٍ رُمْتُمُ أنْ تهجُروا ... من بعد فرقٍ بائعين تخيَّروا
ردُّوا الفؤادَ كما عهدتُ إلى الحشا ... والمُقلتين إلى الكرى ثم اهجروا
وزعمتمُ أنَّ اللَّيالي غيَّرَتْ ... عهدَ الهوى لا كانَ مَنْ يتغيَّرُ

عبد الرحمن بن هشام

والي الأندلس، الذي لقَّب نفسَه في سنة أربع عشرة وأربع مئة بالمستظهر والمستكفي والمعتمد، وعاد مِلْكُ بني أمية إلى الأندلس بسببه، فلمَّا كان في هذه السنة وثبَ الجندُ عليه فقتلوه، وانقطعَتْ ولاية بني أمية عن الأندلس، واختلَّتِ الأمورُ إلى سنة ثلاثٍ وأربعين وأربع مئة، أو إحدى أو اثنتين وأربعين وأربع مئة، فخطب ابن باديس الصنهاجي للقائم بها، وما زالتِ الدعوةُ لبني العباس قائمةً بها أيامَ المقتفي، وانقطعت لما نذكرُ إن شاء الله تعالى.

فصل في ولاية الأندلس من بني أمية:

وعِدَّةُ ملوكهم أربعةَ عشر على عددِ أسلافِهم، ومُدَّة سنينهم مئتان وثمانون سنة، فأوَّلهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان أبو المُطرِّف، [ويُسمَّى] الداخل، بُويعَ [في] سنة تسع وثلاثين ومئة، في أيام [أبي جعفر] المنصور، وكان المنصور يُثني عليه، ومات [في] سنة اثنتين وسبعين ومئة في أيام [هارون] الرشيد، فأقام والياً ثلاثاً وثلاثين سنة، ثم وَلِيَ بعدَه ابنه هشام بن عبد الرحمن [في] سنة اثنين وسبعين ومئة، ومات في صفر سنة ثمانين ومئة في أيام هارون [الرشيد أيضاً]، فكانت ولايتُه سبع سنين وعشرة أشهر، ثم وَلِيَ ابنُه الحكم بن هشام سنة ثمانين [ومئة]، وتوفِّي سنة ستٍّ ومئتين في أيام المأمون، فأقام والياً [سبعاً وعشرين سنة، ثم وَلِيَ ابنُه عبد الرحمن بن الحكم في سنة ستٍّ ومئتين، ومات في سنة ثمان وثلاثين ومئتين، فأقام والياً] (١) اثنتين وثلاثين سنة، وكانت وفاته في أيام المتوكِّل، ثم وَلِيَ ابنُه محمد بن عبد الرحمن سنة ثمانٍ وثلاثين [ومئتين]، ومات [في] سنة ثلاث وسبعين ومئتين في أيام المعتمد، فأقام والياً أربعاً وثلاثين سنة، ثم وَلِيَ ابنُه المنذر(٢) بن محمد، فأقام والياً سنتين، واستُشهد في غَزاةٍ له سنة خمس وسبعين [ومئتين] في أيام المعتمد، ولم يكن له ولد [ذَكَر]، فانقرَضَ نسلُه، ثم وَلِيَ عبد الله بن

(١) ما بين حاصرتين من جميع النسخ سوى (خ).

(٢) تحرف في (ف) إلى: المقتدر، والمثبت موافق لما في النجوم الزاهرة ٤/ ٢٦٧ وغيره من المصادر.

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أخو المنذر [بن محمد بن عبد الله بن محمد]، فأقام والياً إلى سنة ثلاث مئة [و] خمساً وعشرين سنة، ثم وَلِيَ [بعدَه ابنُ] ابنه عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد [بن عبد الرحمن بن الحكم ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل] في سنة ثلاث مئة في أيام المقتدر، فأقام والياً خمسين سنة، ثم مات [في] سنة خمسين وثلاث مئة في أيام المُطيع، ثم وَلِيَ بعدَه الحكم بن عبد الرحمن [بن محمدٍ]، فأقام والياً خمس عشرة سنة، ومات في أيام الطائع[(١)] [في] سنة ستٍّ وسبعين وثلاث مئة، ثم وَلِيَ بعدَه ابنُه هشام بن الحكم المؤيد[(٢)]، فأقام والياً تسعاً وثلاثين سنة، ومات [في] سنة تسع وتسعين وثلاث مئة في أيام القادر [بالله]، وقد كان غلب عليه محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الملقَّب بالناصر [وغيَّبه][(٣)]، ولقَّبَ محمدٌ نفسَه بالمهدي، ثم قويَ عليه سليمان بن الحكم، وغلبَ على الأمر، فهربَ محمد بن هشام إلى المُشرِّف، ثم عاد إلى الأندلس. وقيل: قَتَلَه سليمان، والأشهر أنه عاد إلى المغرب، وَوَلِيَ مدَّةً، ثم قتلَه سليمانُ في أيام القادر، ووَلِيَ هشام بن الحكم بن عبد الرحمن وعبد الرحمن بن هشام أخي محمد بن هشام المتغلِّب على المؤيَّد، فقُتِلَ، وزالَتْ أيامُ بني أمية. وقيل: إن محمد بن هشام المتغلِّب على المؤيَّد لمَّا هرب من سِليمان بن الحكم أقام ببيت المقدس سنتين يتقوَّت من عمل الحُصَرِ، فلمَّا عاد إلى الأندلس واقعَ سليمانَ بن الحكم مراراً، فسُمِّي الحُصَرِي. وقيل: إنَّ الحُصَرِيَّ لم يكُنْ من بني أمية. قال ابن عبد البر: الذي ظهر بالمغرب وقيل له: الحُصَرِي، رجلٌ من آحاد الناس، لا يؤبَهُ إليه، خُطِبَ [له][(٤)] على المنابر بجميع الأندلس بعد نيِّفٍ وعشرين سنة من موت هشام الملقَّب بالمؤيد، فأقام الحُصْري نيِّفاً وعشرين سنة تتصادم الجيوش بسببه، وهو حُصْريٌّ.

(١) تحرف في (ف) إلى: المطيع.

(٢) في (م) و (م١): هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن محمد، ولقَّب نفسه المؤيَّد بالله.

(٣) هذه الزيادة من (ف) وحدها.

(٤) هذه الزيادة من (ف).

[وفيها تُوفِّي]

عبد الوهاب بن جعفر بن علي(١)

أبو الحسين، الميداني، الدمشقي [ذكره الحافظ ابن عساكر وقال]: وُلِدَ سنة ثمان(٢) وثلاثين وثلاث مئة، وسمع الكثير(٣)، وكتب بقنطار حبر(٤) بالشامي، ومات بدمشق، ودُفِنَ بمقبرة باب الفراديس، [سمع أبا سليمان بن زَبْر والدارقطني وخلقاً كثيراً، وروى عنه رشَأ بن نظيف وأبو العبَّاس بن قُبيس وجَمٌّ غفير]، وكان عظيماً صدوقاً ثقةً.

[وفيها تُوفِّي]

أبو القاسم بن القادر بالله(٥)

تُوفِّي ليلةَ الأحد لليلةٍ خلَتْ من جمادى الآخرة، وصلَّى عليه أخوه أبو جعفر، ومشى أربابُ الدولة [والخلق] في جنازته إلى الرُّصافة [وأعاد الصلاة عليه أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر]، وحزن الخليفةُ عليه حزناً شديداً، وامتنع من الطعام والشراب، وقطع ضرب الطَّبلِ ببابه(٦) في أوقات الصلاة أياماً(٧).

أبو الحسن بن طباطبا العلوي(٨)

كان فاضلاً شاعراً فصيحاً، تُوفِّي ببغداد في ذي القعدة، كتب إليه رجلٌ ورقة فأجابه في ظهرها بديهاً: [من الخفيف]

وقـرأتُ الـذي كـتـبـتَ ومـا زا لَ نـجـيِّـي ومُـؤْنِـسـي وسـمـيـري

(١) تاريخ دمشق ٤٤/ ٧٧ ـ ٨٠ (طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق).

(٢) تحرفت في (م) و (م١) إلى: ثلاث.

(٣) في (م١): الحديث، والعبارة في تاريخ دمشق: وكتب الكثير.

(٤) العبارة في تاريخ دمشق: كتب بنحو مئة رطل حبر.

(٥) المنتظم ١٥/ ١٨٨ .

(٦) في (م) و (م١): بداره.

(٧) جاء بعدها في (م): ولم يحزن على أحد كحزنه عليه .

(٨) المنتظم ١٥/ ١٨٨ ـ ١٨٩، والكامل ٩/ ٣٦٤.

وغدا الفألُ في امتزاجِ السُّطورِ حاكماً بامتزاجِنا في الضَّميرِ
واقترانُ الكلامِ لفظاً وحظًّا شاهداً باقترانِ وُدِّ الصُّدورِ
وتبرَّكتُ باجتماعِ الكلامَيْـ ـنِ رجاءَ اجتماعِنا في سرورِ
وتفاءلتُ بالظُّهور على الوا شي فصارَتْ كتابتي[1] في الظُّهورِ

السنة التاسعة عشرة وأربع مئة

فيها في يوم الأحد ثاني عشر المُحرَّم اجتمع الأتراكُ بسوق يحيى، وتحالفوا على اجتماع كلِمتهم، وأخرجوا الخيم إلى ظاهر البلد، وبعثوا رسالةً إلى الخليفة يقولون: نحن عبيدُ مولانا وخدَمُه، وكان اختيارُنا لهذا الملك الوارد إلينا على ظنٍّ أنه ينظُر في حالنا، وأنَّه رجلٌ متوفرٌ على لذَّاته، ومستعملٌ بما لا تنتظم سياسةٌ بمثلِه، ونسأل أميرَ المؤمنين أن يتوسَّط بيننا وبينه، ويوعِزَ إليه بالعَوْد إلى البصرة، وإنفاذِ ولدِه يقيمُ بيننا نائباً عنه في مراعاتنا، ومتى لم يفعل هذا لم نأمن أن يجري من الغلمان ما يتطرَّقُ إلى القباحة والوهن، فاستدعى الخليفةُ الشريفَ المرتضى ونظامَ الحضرتين أبا الحسن الزَّينبي، وأنفذَهما إلى الملك ومعهما أبو نصر بن طاس الحاجب بما قاله الأتراك ويوصيه بهم، فلمَّا أعادوه عليه[2] قال: كلُّ ما ذكروه من إغفالنا لهم صحيحٌ، ونحن معترفون ومُعتَذِرون منه، وعفا الله عما سلف، ونستأنفُ الطريقةَ التي ترضيهم، ونُطْلِق لهم الآن ما يُمكن إطلاقُه. وعاد الرسلُ إلى الخليفة وبلَّغوه ما قال، فأرسل إليهم وأخبرهم بما قال، فقالوا: نريد ما وعدنا به عاجلاً. فباع من الضياعات بمئة ألف درهم، وبعث بها إليهم، فلم يَقنعوا، وعادوا في اليوم الثاني، وشَغَبوا ونهبوا دارَ الوزيرِ يمينِ الدولة، ودُورَ الخواصِّ والعامَّة، وعظُمَتِ الفتنةُ، وانخرقَتِ الهيبةُ، وظهر العيَّارون ونَهَبوا، وكبسوا الدُّورَ، وجاء جماعةٌ من الأتراك، فوكَّلوا بباب دار المملكة، ومَنعوا من دخول الطعام والماء إليها، واشتدَّ الحصار بجلال الدولة،

---
(١) في المصدرين السابقين: إجابتي.
(٢) في (ف): عليهم.